الباب الرابع

تعدد الجموع للمفرد الواحد وفوائدها في القرآن الكريم

الفصل الأول

لمحة عن أقسام الجمع و الجموع المتعددة للمفرد الواحد في القرآن

كان القرآن أنزل باللغة العربية، كما قال الله في كتابه العزيز " إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون "[1]، وكما عرفنا أن في اللغة العربية بحوثا لغوية متنوعة، والقرآن مع كونه عربيا لا يخلو عن هذا المجال، كان العلماء قضوا أعمارهم للبحث في هذا الكتاب الكريم، خاصة في بحث لغته وكشف الأسرار فيها. وقد ظهرت ظاهرة لغوية تحتاج إلى من يغوص في أعماق أسراره، ومن أهم هذه الظاهرة وجود الجموع المتعددة مهما كان مفردها واحدا.

كما لاحظنا أن استخدام الجمع في القرآن شيء لا يكون خاليا عنه. وقد تنوع ورود الجمع في القرآن الكريم، والشرح ما يلي:

1. جمع المذكر السالم

هو ما جمع بزيادة واو ونون في حالة الرفع وياء ونون في حالة النصب والجر، والقرآن قد استخدم هذا الجمع في الآيات الكثيرة منها : قوله تعالى " وأرسلنا الرياح لواقح

[1] سورة يوسف : 2

فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين "[2] وقوله " والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون "[3].

2. جمع المؤنث السالم

هو ما جمع بالتاء والألف، وهذا الجمع قد ورد في كثير من آيات القرآن منها قوله تعالى " وإذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم ستزيد المحسنين "[4]

3. جمع التكسير

هو ما دل على ثلاثة فأكثر، وله مفرد يشاركه في لفظه من حيث الحروف الأصلية ومعناه، مع تغير يطرأ على صيغته عند الجمع، والأمثلة القرآنية من هذا الجمع كقوله تعالى " لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العـــملين "[5].

وعلى الرغم من أن تعدد الجموع للمفرد الواحد ظاهرة شائعة في اللغة العربية، فإن استخدامها في نص واحد متجانس لا يمكن أن ينسب إلى اختلاف اللهجات، أو على تعدد اللغات وحده، بل لا بد أن يفتش وراء هذا الاستخدام عن أسباب فنية استوجبت اختيار الجمع المعين في الموقع المعين دون غيره.

---

[2] سورة الحجر : 22

[3] سورة سورة المؤمنون : 8

[4] سورة الأعراف : 161

[5] سورة العنكبوت : 58

وقد لفتت هذه الظاهرة نظر القدماء قبل أن تلفت نظر الباحث. وأما الأسباب والفوائد في وجود هذه الظاهرة في القرآن الكريم فكثيرة ومتنوعة، أسبابا،فمن الممكن أن يعرض الباحث أهم هذه الأسباب والفوائد في الفصل القادم إن شاء الله.

الفصل الثاني

تعبير القلة والكثرة

جاء اختلاف الجمعين أحيانا في القرآن الكريم للتعبير عن القلة أو الكثرة، وقد سلك القرآن في ذلك أحد طرق وهي :

1. التعبير بجمع القلة و جمع الكثرة
2. التعبير بالجمع و جمع الجمع
3. التعبير بجمع المذكر السالم و جمع التكسير
4. التعبير بجمع المؤنث السالم جمع التكسير
5. التعبير بجمع التكسير

والآن يبدأ الباحث بحثه في تعبير القلة والكثر والشرح ما يلى :

أ. *أنعم ونعم* وردت الكلمة الأولى في آيتين هما " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ "[6] وقوله " شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[7] ووردت الكلمة الثانية في آية واحدة وهي " أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

[6] سورة النحل : 112

[7] سورة النحل :121

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ"[8]

أما أية 112 في سورة النحل فتحدثت عن أهل القرية، والمراد بهذه القرية مكة المكرمة كما قال ابن جرير الطبري في كتابه جامع البيان في تفسير القرآن[9]، وفي الأخرى 121 تحدثت عن شخص واحد وهو إبراهيم، والعدد المحدود من البشر يناسبه العدد المحدود من النعم. ولذلك جاءت هاتان الآيتان بصيغة جمع القلة وهي أنعم. وأما آية لقمان فالخطاب فيها عام لكافة البشر فجاء ذكر النعمة فيها بصيغة جمع الكثرة الذي يدل على كثرة نعمه تعالى وأفضاله على كافة الناس.[10]

ب. *آلاف وألوف*، وردت كلمة "ألوف" في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله سبحانه " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ"[11] ووردت كلمة " آلاف " مرتين هما " إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ" [12] وقوله تعالى " بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ"[13] والفرق في إتيان الجمع المختلف في

---

[8] سورة لقمان : 20

[9] ابن جرير الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*،(قاهرة: بدر هجر،2001)ج14، ص 280

[10] فاضل السامرائي، *التعبير القرآني*،(بيروت: دار الكتب الإسلامية، وجهول السنة)،ص 40

[11] سورة البقرة: 243

[12] سورة آل عمران : 124

[13] سورة آل عمران : 125

هاتين الآيتين واضح بدون أدنى الشك، فقد استخدم القرآن الكريم عند إرادة الكثرة لفظ " ألوف " الذي جاء على وزن من أوزان جمع الكثرة ، واستخدم عند إرادة القلة لفظ " آلاف " ومن المعروف أن القاعدة النحوية في تمييز العدد من الثلاثة إلى العشرة أن يأتي جمع القلة.[14]

ت. أبحر وبحار، وردت الأولى تمييزا للعدد سبعة في قوله تعالى " وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "[15] وفي هذه الأية جاء القرآن بجمع القلة، لكون البحر فيها مقيدا ومحددا بعدد سبعة،[16] ومن المعلوم أن جمع القلة استخدم للعدد من الثلاثة إلى العشرة. وفي حين وردت الثانية في مجال الدلالة الكثرة لعدم الحدود والقيود فيها[17]،وهي قد جاء في الآيتين هما " وإذا البحار سجرت "[18] و قوله " وإذا البحار فجرت "[19].

ث. *أشهر وشهور*، وردت الأولى في مجال الدلالة على القلة فجاءت تمييزا لعدد دون العشرة في أربع آيات منها " فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ "[20] وفي هذه الآية جاء القرآن بتعبير القلة لكون الشهر مقيدا بعدد أربع، وفي الأية الأخرى " الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ

---

[14] أدونيس، *مفرد بصيغة الجمع*، (بيروت: دار الأدب، 1988)ص، 24

[15] سورة لقمان: 27

[16] أحمد مختار عمر، *دراسة لغوية في القرآن*، (قاهرة : عالم القرآن، مجهول السنة)ص206

[17] فاضل السامرائي، *التعبير القرآني*،ص*41*

[18] سورة التكوير : 6

[19] سورة الانفطار:3

[20] سورة التوبة : 2

فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ "[21] وهذه الأية تتحدث في وقت الجح، وقال أبو حنيفة إن وقته ثلاثة وهي شوال و ذوالقعدة وعشر ذي الحجة[22]، وأما الشافعي فيقول إن وقته شوال وذوالقعدة وتسع ذي الحجة وليلة ويوم النحر[23]، وقال مالك شوال وذوالقعدة وذوالحجة كله.[24] وكما كان شهر الحج محدود إلى ثلاثة أشهر فجاء القرآن الكريم بتعبير القلة، لأن العدد الثلاثة إلى التسعة مستحق بتعبير القلة. وأما الأية الأخرى في مجال هذا التعبير فهي " فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "[25] اختلف العلماء في فهم الأشهر الحرم ولكن لا تتجارز عن أربعة أشهر وهي رجب وذوالقعدة وذوالحجة والمحرم وعلى هذا القول ذهب الجمهور[26].

وأما الكلمة الثانية فقد جاءت في مجال الدلالة على الكثرة وهي قوله تعالى " إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ

---

[21] سورة البقرة : 197

[22] الزمخشري، *تفسير الكشاف*،(مصر:دار الحديث،مجهول السنة)ج1،ص246 وانظر في البحر المحيط الجزء الثاني ص.65

[23] محمد طاهر، *تفسير التحرير والتنوير*، (تونس: الدار التونيسية،1984)ج2،ص232

[24] نفس المرجع،234

[25] سورة التوبة :5

[26] الألوسي البغدادي، *روح المعاني*،(بيروت: دار إحياء التراث العربي، مجهول السنة)ج 10،ص187

كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ "[27] وهذه الأية تشرح لنا أن جملة الشهر في السنة هي إثنا عشر شهرا، ولذلك جاء القرآن بتعبير الكثرة لأن العدد فوق العشرة مستحق بالكثرة.

ج. *فتية وفتيان*، وردت الكلمة الأولى في الدلالة على القلة في سياق الحديث عن أسحاب الكهف، وذلك في قوله تعالى " إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آَتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا "[28] وقوله " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى "[29] وقد اختلف الآراء في جملتهم كما قد شرح الله في قوله " سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا "[30] استدلالا على هذه الآية قال بعض العلماء إن جملتهم ثلاثة وأسماءهم تمليخا مكشليينا مشليتيا[31]، وبعضهم يقول خمسة وأسماءهم تمليخا مكشليينا مشليتيا مرنوش برنوش[32] والآخر يقول سبعة وأسماءهم تمليخا مكشليينا مشليتيا مرنوش برنوش شاذنوش كفشطيطيوش[33]، والعبرة الرئيسية في هذه الآية أن جملتهم لا تتجاوز عن العشرة ولذلك استخدم القرآن فيها تعبير القلة.[34]

---

[27] سورة التوبة : 36

[28] سورة الكهف : 10

[29] سورة الكهف : 13

[30] سورة الكهف : 22

[31] محمد نووي الجاوي، *تفسير منير*، (سورابيا : الحرمين،مجهول السنة) ج.1 ص.496

[32] نفس المرجع،496

[33] نفس المرجع، 498

[34] أحمد مختار عمر،*دراسة قرآنية*،ص205

وأما الثانية فقد وردت في سياق الحديث عن رجال يوسف عليه السلام وذلك قوله تعالى " وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم "[35] وقد استخدم لفظ الكثرة إما لأنهم كانوا عددا عير محدود[36] أو لأن هناك الفرق بين الفتية والفتيان، وهو دلالة الفتية على معنى الصغار أو الأحداث والفتيان تدل على من بلغوا مبلغ الرجولة دون تقييد بسن معين.[37]

ح. *ذكران وذكور*، وردت كلمة "ذكران " في القرآن الكريم مرتين في قوله تعالى " أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ "[38] وقوله " أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ"[39] وردت كلمة " ذكور " مرتين كذلك في قوله تعالى " وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ "[40] وقوله عز وجل " لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ".[41]

أول ما يلفت النظر في الجمع " ذكران " أنه جاء على وزن قليل الاستخدام في القرآن الكريم، إذ لا يكون إلا أربع مرات في كلمة "ذكران" و "ركبان" و "رهبان" و " عميان" وفي حين أن الجمع " ذكور " جاء على وزن شائع الاستعمال في القرآن الكريم إذ ورد إحدى وستين مرة.[42]

---

[35] سورة يوسف :62

[36] أحمد مختار عمر،*دراسة قرآنية*، ص 206

[37] ابن مجاهد، *السبعة*،(قاهرة : عالم الكتب، مجهول السنة)ص 349

[38] سورة الشعراء : 165

[39] سورة الشورى : 50

[40] سورة الأنعام : 139

[41] سورة الشورى : 49

[42] أحمد مختار عمر،*دراسة قرآنية*، *209*

وهناك شيئ آخر يلفت النظر عند التنقيب في المعاجم عن الفرق بين الجمعين هو قول الكراع حيث أن قال : ليس في الكلام فعل يكسر على فعول وفعلان إلا الذكر [43] فوزن فعلان إذن يمكن أن يثير – في ذهن المتدبر في كلام الله العزيز – معنى الغرابة والندرة وقلة الحدوث وغض النظر عن اعتبار النحاة له من جموع الكثرة. ولا شك أن معاني الغرابة والندرة وقلة الحدوث تتناسب مع سياق الآيتين المشتملين على لفظ "الذكران" ففعل قوم لوط في السورة الشعراء أمر يثير الغرابة والاستنكار فضلا عن قلة حدوثه وشذوذه[44] وكذلك فإن تزويج الذكور والإناث أمر غريب قليل الحدوث، وبخاصة إذا علمنا أن أكثر المفسرين يقولون على أن المراد به أن تلد المرأة ولدا، ثم تلد بنتا، ثم تلد ولدا،ثم بنتا والمراد به ولادة التوائم[45] .

[43] الحسين بن محمد، *مفردات ألفاظ القرآن*،(دمشق:دار القلم، مجهول السنة)ص. 102

[44] أحمد مختار عمر،*دراسة قرآنية*، *234*

[45] تفسير القرطبي ج16، ص.48، تفسير البحر المحيط، ج 7،ص.526

الباب الثالث

تعبير جمع التكسير وجمع الجمع

وبعد المرور بالبحث في تعبير القلة والكثرة ثم شرح الباحث تعبير وجمع الجمع المستخدم في سياق القرآن كقابل لتعبير جمع التكسير بيد أن مفرد كل منها واحد والشرح ما يلي :

أ. أسورة و أساور وردت الكلمة الأولى في آية واحدة، جاءت في سياق الحديث عن فرد واحد هو موسى عليه السلام وهي قوله تعالى " فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ "[46] والأسورة جمع القلة لسوار. وأما الكلمة الثانية فقد جاءت في أربع آيات تتحدث عن مظاهر النعيم في الآخرة وهي قوله " أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ

[46] سورة الزخرف:53

عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا "[47] وقوله تعالى " إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ "[48] وقوله عز وجل " جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ "[49] وقوله عز من قائل " عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا "[50] أما الكلمة " أسورة" في الآية القرآنية فقد تحدثت عن شخص واحد وهو موسى عليه السلام وعدد الشخص يأثر إلى استخدام الكلمة في القرآن، كما كان القرآن كلاما معجزا إلى سائر الأنام ولذلك أتت الكلمة في القرآن على سبيل ذقة التعبير إعجازا لهم.

ب. *أسرى و أسارى* وردت كلمة " أسرى " في القرآن مرتين في قوله تعالى " مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "[51] وقوله " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ "[52] وأما كلمة " أسارى " فلم ترد إلا مرة واحدة في قوله تعالى " ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ

---

[47] سورة الكهف : 31

[48] سورة الحج : 23

[49] سورة الفاطر : 33

[50] سورة الإنسان: 21

[51] سورة الأنفال : 67

[52] سورة الأنفال : 70

مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ "[53] وقبل أن يبين الباحث الفرق في الاستعمال القرآني يجب أن يوجه النظر إلى ما يأتي :

1. أن الآيتين من سورة الأنفال قد وردتا تعليقا على ما فعله المسلمون بعد انتصارهم في عزوة بدر وقبولهم فداء الأسرى. أما آية البقرة فقد وردت في سياق الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل، والذي تضمن النهي عن سفك الدماء،والإخراج من الديار، وانتهى بلومهم للخروج على هذا الميثاق بقتلهم أنفسهم، وإخراج فريق منهم من ديارهم وقبول الفداء من الأسارى [54].

2. أن معنى "الأسير" مأخوذ من "الإسار" وهو القيد، ثم عمم المعنى فصار يطلق على كل مأخوذ ويحبس في يد الغير حتى ولو لم يشد بالقيد [55] .

3. أن وزن " فعلى " في الجمع من الأوزان القليلة الورود في القرآن الكريم، إذ لم يرد منه سوى " أسرى ، شتى، صرعى، قتلى، مرضى، وموتى " ومثله وزن " فعالى " الذي ورد في القرآن في أربع كلمات وهي : أسارى، وسكارى، وفرادى، وكسالى.

4. أنه لم يتم التبادل بين فعلى وفعالى في القرآن الكريم إلا في أسرى وأسارى فقط.

---

[53] سورة البقرة : 85

[54] القرطبي، *تفسرير القرطبي*،(بيروت: دار الفكر،مجهول السنة)ج 2ص.45

[55] أحمد مختار عمر،*دراسة قرآنية*، *209*، وانظر *الفيصل في ألوان الجموع* لعباس أبو سعود،ص.56

5. أن وزن " فعلى " يكثر جمعا فيما يدل على هلاك أو توجع أوتشتيت كالقتيل، والمريض والجريح. وقد حمل عليه لفظ الأسير، لأنه لما أصيب بالأسر صار كالجريح واللديغ فجمع على فعلى[56].

والفرق في الاستعمال القرآني بين اللفظين فيوجد الخلاف بين العلماء في تحديد هذا الفرق على النحو التالي :

1. هناك من يرى أن هذا من تعدد الجموع لا فرق بين الجمعين[57].
2. وهناك من يقول إن الأسرى هم للذين في اليد والأسارى هم للذين في القيد.
3. وهناك من يقول إن الأسرى الذين جاءوا مستسلمين، والأسارى الذين جاءوا مقيدين.
4. وأقرب الآراء إلى القبول أن تكون كلمة " أسرى " جمعا للأسير، وأما " أسارى" هو جمع لهذا الجمع كما أشار إليه ابن منظور[58].

وسياق الموقف الذي ورد فيه الجمعان يؤيد الفهم الأخير، فقد كان كان أسرى بدر قلة لم يزيدوا على سبعين فناسب معه لفظ الجمع[59]، وأما خطاب بني إسرائيل فخطاب عام يشمل من يقعون في أسرهم على مر العصور فناسب معه جمع الجمع[60] .

---

[56]عباس أبو سعود، *الفيصل في ألوان الجموع*، (بيورت : دار المعارف، مجهول السنة)ص.510

[57]الأصفهاني، *المفردات في القرآن*، (قاهرة : دار الحديث،مجهول السنة) ج1ص.7

[58]ابن منظور،*لسان العرب*، (بيروت : دار الكتب، 1986)ص.243

[59]أحمد مختار عمر، *لغة القرآن*، (كويت : مؤسسة كويت للتقدم العلمي) ص.26

[60]نفس المرجع،29

ت. نسوة ونساء، وردت كلمة "نسوة" في القرآن مرتين وهما في قصة يوسف " وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "[61] وقوله " وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ "[62].

أما كلمة " نساء فقد وردت سبعا وخمسين مرة ومنها قوله تعالى " وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ "[63] وقوله " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ"[64] وقوله " وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا"[65].

والذي يتبين من مراجعة كتب التفسير واللغة أن النسوة والنساء جمع " المرأة" من غير لفظها أي لا لفظ في مفرده[66]. ولكن بالتدقيق يتبين أن كلمة "النسوة" هو لفظ الجمع،

---

[61] سورة يوسف: 30

[62] سورة يوسف: 50

[63] سورة البقرة: 49

[64] سورة البقرة: 222

[65] سورة النساء: 32

[66] الألوسي، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*،(بيروت: دار إحياء التراث العربي،مجهول السنة)ج 15، ص.238

وأما كلمة "نساء فهو جمع " النسوة " كما نقل ابن منظور عن ابن سيده حيث قال : إن النساء جمع نسوة إذا كثرن[67] لذا قال سيبويه إن النسبة إلى النساء هي نسوي[68] .

والاستعمال القرآني يشهد لكلام سيده ، فقد كان عدد النساء في قصة يوسف قليلا ولذلك استخدم كلمة " نسوة" أما كلمة " النساء " فقد جاءت مطلقا وعاما وشاملا للجنس تارة،وللزوجات تارة أخرى، بل جاءت شاملا للبنات اللاتي عبر عنهن بالنساء في آية (البقرة:49) على سبيل المجاز المرسل باعتبار ما سيكون[69] .فلم يرد لفظ النسوة في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث إلا للدلالة على العدد القليل[70]

الفصل الرابع

تعبير جمع المؤنث السالم وجمع التكسير

أما التعبير بجمع المؤنث السالم الدال على القلة مقابل جمع التكسير الدال على الكثرة فيمكن التمثيل له بالاستخدامات القرآنية الآتية:

---

[67] محمد بن محمد بن عبد الرزاق، *تاج العروس من جواهر القاموس*،(كويت : طبعة كويت،2008)ص.521

[68] ابن المنظور، *لسان العرب*،ص.342

[69] القرطبي، *تفسرير القرطبي*، ج.*1*،ص.*385*

[70] البرهان، ج.4، ص .22.

أ. سنبلات و سنابل، وردت " سنبلات " مرتين في قوله في سورة يوسف " وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ"[71] وقوله " يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ"[72]، أما " سنابل " فقد وردت مرة واحدة في قوله " مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"[73].

فقد عبر القرآن بجمع المؤنث السالم الدال على القلة حين أراد معنى القلة،وعبر بجمع التكسير الدال على الكثرة حين أراد معنى الكثرة مع أن الجمعين جاءا في صحبة عدد واحد وهو سبع [74]. وقد ناسب لفظ " سنبلات" في آيتين من سورة يوسف الدلالة على معنى القلة لأن الجمع جاء تمييزا للعدد " سبع " وهو قليل. وناسب لفظ " سنابل " في آية البقرة الدلالة على الكثرة من ناحيتين :

1. أنها تتحدث عن زيادة الأجر ومضاعفة الثواب.

[71] سورة يوسف: 43

[72] سورة يوسف : 46

[73] سورة البقرة: 261

[74] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، (قاهرة : دار التراث،مجهول السنة)ج4،ص.22 وأنظر التعبير القرآني،ص.39

2. أن العدد في الآية لا مفهوم له، إذا أريد به الكثرة وليس القيمة الحقيقة له، بدليل ما جاء في الآية بعد ذكر العدد من أن في كل سنبلة مائة حبة، وهناك ضعف.

ب. *خطيئات وخطايا:* إلى جانب أسباب أخرى قد تلمح في المبادلة بين هذين اللفظين، فقد تمثل معنى القلة والكثرة في قوله " وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ "[75] مع قوله " وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ"[76]

ويبدو معنى الكثرة في آية البقرة من ثلاث نواح :

1. أن المقام قد اقتضى ذلك لأن فعل القول في أول الآية قد جاء مسندا إلى الذات الإلهية، مما ينبئ عن معنى التفضل، بخلاف آية الأعراف التي بدأت بفعل مبني للمجهول[77].
2. أن هذه الآية اشتملت على نوع من التكريم خلت منه الآية الأخرى وهو الأكل بالرغد، وليس مطلق الأكل ، فناسب ذلك المزيد من التفضل المتمثل في العفو عن الذنوب صغائرها وكبائرها مما يستحضر في الذهن معنى الكثرة[78].

---

[75] سورة الأعراف : 161

[76] سورة البقرة: 58

[77] الكرماني، *أسرار التكرار في القرآن الكريم*،(قاهرة: دار التراث، مجهول السنة)ص.29

[78] فاضل صالح السامرائي، *معاني الأبنية في العربية*، (الأردن: دار عمار، 2007)ص. 140

3. أن آية البقرة قد أخرت الأمر بالحطة وهي حط الذنوب فجاءت مجاورة للنتيجة أو جواب الأمر وهو غفران الذنوب، فناسب ذلك إرادة الكثرة،والعفو عن جميع الذنوب.

ت. *غرفات وغرف:* ورد لفظ " غرفات" مرة واحدة في القرآن الكريم، في قوله تعالى " وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آَمِنُونَ "[79] أما لفظ " غرف " فقد ورد ثلاث مرات في القرآن الكريم " لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ"[80] وقوله " وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ"[81].

وقد وقعت آية سبأ في سياق يتلاءم مع معنى القلة،ولذا استخدم فيه جمع المؤنث السالم، ووجه الملاءمة مع القلة أن الآية تتحدث عن الذين جمعوا بين ثلاثة أشياء وهي : الأولاد والأموال والعمل الصالح، ولا شك أن هؤلاء قلة بالنسبو لسائر المؤمنين،خاصة إذا علمنا أن المال والرجال يؤديان إلى الغرور والبطر، وفي تفسير القرطبي يقال : إن المؤمن إذا كان غنيا تقيا آتاه الله أجره مرتين[82]. أما سائر الآيات وهي تلك التي اشتملت على لفظ " غرف " فهي تتحدث عن مجرد الاتصاف بالعمل الصالح أو تقوى الله،ولا شك أن المتصفين

---

[79] سورة السبأ: 37

[80] سورة الزمر: 20

[81] سورة العنكبوت: 58

[82] القرطبي، *تفسرير القرطبي*، ج. 14،ص. 306

بذلك أكثر بكثير من الذين يجمعون النفوذ والغنى والتقوى، فناسب ذلك استخدام جمع التكسير الدال على الكثرة.

ث. خبيثات و خبائث : ورد لفظ " خبيثات " مرتين في القرآن الكريم وهما " الخبيثات للخبيثين والخبيثين للخبيثات "[83] استخدم هذا اللفظ للعاقل كما كان المراد في هذه الآية النساء المتصفات بهذا الوصف كما قاله ابن زيد[84] ، وأما لفظ " خبائث " فقد ورد مرتين هما " ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث "[85] وقوله " ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث"[86] والمراد بالخبائث في سورة الأعراف : المحرمات كلحم الخنزير والربا[87] وفي سورة الأنبياء كان المراد به اللواط[88].

[83] سورة النور : 26

[84] نفس المرجع، ج، 12،ص. 300

[85] سورة الأعراف : 157

[86] سورة الأنبياء: 74

[87] القرطبي، *تفسرير القرطبي، ج.11، ص.309*

[88] نفس المرجع، ج. 7، ص. 7

الفصل الخامس

تعبير جمع المذكر السالم و جمع التكسير

ومن أسلوب القرآن الرائع إتيان جمع المذكر السالم كمقابل لجمع التكسير وهما من نفس المفرد، وكما أن في القرآن مضمونه وأسلوبه أسرارا، كان في مجال هذا التعربيرين أسرار. و الشرح ما يلي :

أ. *خازنون وخزنة*: وردت كلمة " خازنون مرة واحدة في قوله " وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ "[89] وقد أريد بإتيان هذا الجمع هنا معنى الصفة. وأما كلمة " خزنة " فقد وردت في أربع آيات ومنها قوله " وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ "[90] وقوله " وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ "[91] وهذه الكلمة استخدمت لخازن النار أو الجنة أي حارسها،وهو استخدام اسمي للفظ يجعله قريبا من أسماء الوظائف [92].

---

[89] سورة الحجر: 22

[90] سورة الغافر : 49

[91] سورة الزمر : 73

[92] أحمد مختار عمر،*دراسة قرآنية، ص.220*

ب. *زارعون و زراع* : ورد كل من اللفظين مرة واحدة في القرآن الكريم وهي قوله " أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ "[93] وقوله " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا "[94] وقد أريد بجمع المذكر السالم معنى الصفة أوإيقاع الفعل، أما جمع التكسير فقد أريد به مهنته الزراعة فهو أدخل في باب الاسمية[95].

ت. *حاكمون و حكام* : قد وردت بصورة الجر فقط، ووردت خمس مرات في القرآن " وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آَمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ" [96] وقوله " وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ "[97] وقوله " فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ "[98] وقوله " وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ "[99] وقوله " أَلَيْسَ

---

[93] سورة الواقعة : 64

[94] سورة الفتح : 29

[95] دراسة قرآنية، 222

[96] سورة الأعراف : 87

[97] سورة يونس : 109

[98] سورة يوسف : 80

[99] سورة هود : 45

اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ "[100] وواضح يكون المراد في هذه الآيات كلها معنى الوصفية. أما كلمة الثانية فقد وردت في قوله " وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ "[101] والمراد فيها المعنى الاسمي[102].

ث. *راعون ورعاء*: ورد لفظ " راعون " مرتين وهما " وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ "[103] وأما لفظ" رعاء " فقد ورد في قوله " وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ "[104] فواضح أن الرعاء جمع " راع " لمن حرفته رعي الغنم،فهوالمعنى الاسمي، أما الراعون فجمع " راع " الدال على الصفة[105].

ج. *قاعدون،قواعد و قعود* : أما كلمة " قاعدون وقعود " فهما جمع " قاعد " وقد وردت الأولى ثلاث مرات في القرآن الكريم منها : " إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ "[106] وقوله " الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ "[107] أما الثانية فقد وردت ست مرات منها " قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا

---

[100] سورة التين : 8

[101] سورة البقرة: 188

[102] دراسة قرآنية، 224

[103] سورة المؤمنون : 8 وسورة المعارج : 32

[104] سورة القصص : 23

[105] الأصفهاني، المفردات، ص.409

[106] سورة البروج : 6

[107] سورة آل عمران : 191

قَاعِدُونَ "[108] وقوله " وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ "[109] أما القواعد فجمع لفظ " قاعدة " التي يراد بها المرأة التي قعدت عن الحيض والتزوج[110]، كقوله " وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ "[111] وكذلك يراد بهذه الكلمة معنى أساس البناء كقوله تعالى " وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "[112] والفرق بين هذين استعمالين أن لفظ قعود والقاعدون يراد به المذكر و لفظ قواعد للمؤنث.[113]

ح. *صافون، صواف و صافات*: وردت كلمة " صافون " مرة واحدة في قوله " وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ "[114] وهو جمع " صاف" والمراد بهم المنتظمون صفوفا في مواقف الطاعة والعبادة[115]، وأما لفظتا " صواف وصافات " فجمعان للمفردة المؤنثة " صافة " وقد جاء اللفظ الأول مرة واحدة وهو في قوله " وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ "[116] والمراد بها الإبل التي صفت قؤائمها لنحرها،

---

[108] سورة المائدة : 24

[109] سورة التوبة : 46

[110] تفسير القرطبي، ج 12، ص62

[111] سورة النور : 60

[112] سورة البقرة: 127

[113] دراسة قرآنية،ص.224

[114] سورة الصافات : 165

[115] دراسة قرآنية، ص. 224

[116] سورة الحج : 36

قال القرطبي : وواحد الصواف هو صافة[117]. أما لفظ " صافات " فقد ورد ثلاث مرات في القرآن الكريم وصفا للملائكة مرة،وللطير مرتين، في قوله " والصافات صفا " [118] قال الأصفهاني : يعنى به الملائكة[119]، ووصفا للطير مرتين هما " والطير صافات "[120] وقوله " أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات"[121] والمراد باسطات أجنحتهن[122].

خ. *آخرون وأخر* : جمع المذكر السالم لا يستخدم إلا مع العاقل ، ولذا اطرد في الجمع " آخرون " مجيئه مع العاقل[123] في جمع آيات القرآن مثل : "وآخرون اعترفوا بذنوبهم "[124] وقد ورد اللفظ في القرآن –في حالاته الإعرابية الثلاث– ثلاثا وعشرين مرة. أما لفظ " أخر " فقد ورد خمس مرات كلها للحديث عن غير العاقل[125] كقوله تعالى " فعدة من أيام أخر "[126] وقوله " وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات "[127].

د. *أعلون وعلى* : جاءت " أعلون " مرتين في قوله تعالى " وأنتم الأعلون "[128] وواضح من الآيات أن " أعلون " جاءت وصفا للعقلاء، وهو ما ينبئ به جمع المذكر

---

[117] تفسير القرطبي، ج 13، ص.62

[118] سورة الصافات : 1

[119] تفسير القرطبي، ج12،ص.282

[120] سورة النور : 41

[121] سورة الملك : 19

[122] تفسير التحرير والتنوير، ج 15، 124

[123] أحمد عمر مختار، لغة القرآن، ص 226

[124] سورة التوبة : 102

[125] أحمد عمر مختار، *دراسة قرآنية*، ص227

[126] سورة البقرة : 184

[127] سورة يوسف : 43

[128] سورة آل عمران : 139، سورة محمد : 35

السالم[129]، أما العلى فتأتي جمعا للأعلى والعليا وهي وردت مرة واحدة في قوله " خلق الأرض والسموات العلى "[130] وواضح أنها في الآية جاءت جمعا للعليا ووصفا لغير العاقل وهو السموات[131].

الفصل السادس

تعبير جمع التكسير

قد يأتي القرآن الكريم بتعبيري جمع التكسير للمفرد الواحد، فهناك الأسرار التي لا بد أن تكتشف في إتيانهما للمفرد الواحد، والشرح ما يلي:

أ. *أعين وعيون*: كلا اللفظين مفرده " عين " وقد ورد هذا المفرد في القرآن الكريم بمعنى آلة البصر كقوله " وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين "[132]

[129] أحمد عمر مختار، *دراسة قرآنية*، ص 228

[130] سورة طه : 4

[131] تفسير الطبري، ج 2، ص.432

[132] سورة المائدة : 45

وكذلك بمعنى عين الماء كما في قوله " فيها عين جارية "[133]. وإذا نطرنا إلى الجمع وجدناه قد ورد في القرآن بصيغة مختلفة وهي " أعين وعيون " وإذا تتبعنا جميع الآيات التي استخدم فيها الجمعان- وعددها اثنان وعشرون آية للجمع " أعين "، وعشر آيات للجمع " عيون "- كشفنا أن سر هذا التنوع هو تخصيص كل جمع لأحد المعنيين دون الآخر.فلم ترد أعين في القرآن إلا جمعا للعين الباصرة[134]،مثل : لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها "[135] كما لم يرد جمع " عيون " إلا جمعا لعين الماء[136] مثل : " جنات وعيون" [137] ولا يصح هنا أن يكون السبب هو إرادة القلة مع الجمع " أعين " والكثرة مع " عيون " كما قال النحاة، إذ لا يستساغ معنى القلة في آيات مثل " فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم "[138] لأن معنى الكثرة هو أنسب.

ب. *عباد وعبيد*: كلا اللفظين قد استعمل في القرآن جمعا للعبد، والعبد في لغة العرب يطلق على الإنسان حرا كان أو رقيقا، وقد ذكرت المعاجم العربية لهذا المفرد ثلاثة عشر جمعا أواسم جمع بالإضافة إلى جمعه جمع مذكر سالما على " عبدون" وجمعه على صيغة منتهى الجموع " أعابد" التي عدها اللغريين جمعا لجمع " أعبد " [139].

---

[133] سورة الغاشية: 12

[134] أحمد عمر مختار،*لغة القرآن*، ص.214

[135] سورة الأعراف : 179

[136] أحمد عمر مختار، *لغة القرآن*، ص. 215

[137] سورة الحجر : 40

[138] سورة الاعراف 116

[139] الفيصل في ألوان الجموع، 235

وقد ورد لفظ "عباد" في القرآن سبعا وتسعين مرة، في حين ورد لفظ " عبيد " خمس مرات فقط، و لم يلمح القرآن في هذا معنى الكثرة – مع أن كلا الجمعين كما يقول النحاة من جموع الكثرة – لأن معنى السياق هنا يتجه في استعمال كلمة " عبيد " إلى معنى القلة وكلمة " عباد " إلى معنى الكثرة.

وإنما الذي لمحه القرآن في هذا تخصيص لفظ " العباد" لجمع العبد بمعنى الإنسان [140] ولفظ " العبيد " لجمع العبد بمعنى المملوك الرقيق[141]. و لم يخرج القرآن عن ذلك بالنسبة للفظ " العباد " إلا في آية واحدة لفائدة بلاغية. فمن أمثلة ما جاء على الأصل قوله تعالى " وإذا سئلك عبادي عني فإني قريب "[142] وقوله " وهو القاهر فوق عباده "[143] وقوله " بل عباد مكرمون "[144] أما ما جاء على خلاف الأصل فهو قوله " وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم"[145] وذلك لحكمة هي الإشارة إلى أنه يجب معاملة هؤلاء العبيد كبشر مثلهم لهم كامل الحق في الحياة[146].

وأما العبيد فلم ترد في القرآن الكريم إلا جمعا للعبد بمعنى المملوك والرقيق، وإن أراد به القرآن معنى العباد لفائدة بلاغية ، فقد ورد اللفظ في آياته الخمس في سياق نفي الظلم عن الله سبحانه وتعالى في قوله " وأن الله ليس بظلام للعبيد "[147] وقوله " وما ربك بظلام

---

[140] أحمد مختار، *دراسة قرآنية*، ص.215

[141] نفس المرجع.215

[142] سورة البقرة :186

[143] سورة الأنعام : 18

[144] سورة الأنبياء : 26

[145] سورة النور: 32

[146] أحمد مختار، *دراسة قرآنية*، ص.216

[147] سورة آل عمران : 182

للعبيد "[148] وقوله " وما أنا بظلام للعبيد "[149] والفائدة البلاغية هنا أن نفي ظلم السيدلعبده نفي لصدور أقل ذرة من الظلم عنه ، ونفي لصدور الظلم عنه لسائر الأجناس من باب الأولى[150] .

ت. *كبر وأكابر*: كلا اللفظين جمع لأفعل التفضيل، ولكن الأول جاء جمعا لغير العاقل والثاني للعاقل، وقد ورد كل منهما مرة واحدة في القرآن لكريم في قوله تعالى " إنها لإحدى الكبر "[151] وقوله " جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها "[152] قال القرطبي في آية المدثر إن المعنى أن هذه النار إحدى الدواهي، وقيل " الكبر " من أسماء النار،وقيل هي شاملة للعظائم من العقوبات وهي جمع كبرى مؤنث أكبر[153] وإتيان هذين الجمعين لإفادة التذكير والتأنيث.

ث. *كبراء و كبائر*: وردت كلمة كبراء مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى " إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا "[154] أما كلمة "كبائر" فقد وردت ثلاث مرات في قوله " إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم "[155] وقوله " يجتنبون كبائر الإثم والفواحش "[156]. وواضح أن " كبراء " جمع " كبير " للسيد والرئيس[157]، أما كبائر فهي

---

[148] سورة الفصلات : 46

[149] سورة ق : 29

[150] دراسة قرآنية، ص.217

[151] سورة المدثر : 35

[152] سورة الأنعام : 123

[153] تفسير القرطبي،ج19،ص 85

[154] سورة الأحزاب : 67

[155] سورة النساء : 31

[156] سورة الشورى : 37 والنجم : 32

[157] القرطبيي،ج5، ص.106

جمع كبيرة للذنوب العظيمة والآثام ، مثل الربا، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، ورمي المحصنة، والزنى ، وعقوق الوالدين[158]، وفي هذين الجمعين إفادة التذكير والتأنيث.

ج. *أبرار و بررة* : وردت كلمة " أبرار" في القرآن الكريم ست مرات هي قوله تعالى " وتوفنا مع الأبرار "[159]، وقوله " وما عند الله خير للأبرار"[160] وقوله " إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا "[161] وقوله " إن الأبرار لفي نعيم "[162] وقوله " إن كتاب الأبرار لفي عليين"[163].

أما كلمة " بررة " فلم ترد إلا مرة واحدة في قوله تعالى " بأيدي سفرة، كرام بررة "[164] . وقد اختلف اللغويون والمفسرون في تحديد مفرد كل جمع، فالأكثرون يقولون على أن مفرد " أبرار " لفظ " بار " ومفرد "بررة" هو لفظ" بر"،يقول الزركشي في البرهان نقلا عن الراغب الأصفهاني : البار في صفة الآدميين جمع على أبرار، وفي صفة الملائكة جمع على بررة، وبررة أبلغ من أبرار لأن بررة جمع بر ، وأبرار جمع بار وبر أبلغ من بار[165]. وقد رجع الباحث إلى عبارة الأصفهاني فوجده قد تناقض في عبارته، فخالف عجزها ما جاء في صدرها. فبعد أن ذكر أن " جمع البار : أبرار وبررة " قال ما يفيد أن " أبرار " جمع بار، وبررة جمع بر،إذ قال بعد أن استشهد بآيات الانفطار والمطففين وعبس مانصه" فبررة خص

---

[158] نفس المرجع، 107

[159] سورة آل عمران: 193

[160] سورة آل عمران : 198

[161] سورة الإنسان : 5

[162] سورة الإنفطار: 13، المطففين: 22

[163] سورة المطففين :18

[164] سورة عبس :15-16

[165] البرهان في علوم القرآن،ج4،ص.18

بها الملائكة في القرآن من حيث إنه أبلغ من ابرار، فإنه جمع بر، وأبرار جمع با،وبر أبلغ من بار كما أن عدل أبلغ من عادل"[166].

ولقد يراه الباحث من أن كلا من أبرار وبررة جمع لمفرد واحد هو " بر" وتعلق الراغب الأصفهاني بمقولة إن بررة أبلغ من أبرار لأن الأولى جمع بر والثانية جمع بار، ولذا خص الملائكة بالأولى والبشر بالثانية- لا معنى له،وقد شك فيه الزركشي فعقب بعد أن نقل رأي الراغب – عقب بقوله : وهذا بناء على رواية في تفضيل الملائكة على البشر[167]. ودليل على أن مفرد كلا الجمعين واحد هو لفظ بر ما يأتي :

1. أن لفظ " بار " لم يرد في القرآن الكريم ولا حتى في القراءات القرآنية، وإنما اقتصرا على المفرد " بر " الذي جاء ثلاث مرات منها " وبرا بوالدتي "[168] ولو كان ما يوصف به البشر أقل مما توصف به الملائكة لقال تعالى : وبارا بوالدتي، وهوما لم يرد حتى في القراءات القرآنية الأخرى.[169].
2. أن القاعدة الصرفية تقول باطراد " أفعال " في جمع اسم ثلاثي لم يطرد فيه " أفعل "، ومما لم يطرد فيه " أفعل " وزن " فعل " المضاعف،[170] وتقول القاعدة الصرفية

---

[166]المفردات، ص.41

[167]البرهان في علوم القرآن،ج4، ص.18

[168]سورة مريم : 14

[169]أحمد عمر مختار،*دراسة قرآنية*،ص.235

[170]الفيصل في الوان الجموع، ص. 34

كذلك أن مما يحفظ ولا يقاس عليه جمع " فاعل " على " أفعال "[171]، فلماذا نكسر القاعدة ونخالف الاستعمال القرآني،وندعي أن مفرد أبرار هو بار.

هناك تفسير آخر يفيد دلالة أوزان القلة والكثرة،وذكره فاضل السامرائي، حيث رأى أن " الأبرار " في الناس وإن زادوا على العشرة فإنهم باقياس على الفجار وهي من أوزان القلة ، ولذا استخدم معهم جمع القلة، أما الملائكة فقد استخدم معهم لجمع " بررة " الدال على الكثرة،لأنهم كلهم كذلك بخلاف البشر.[172]

[171] نفس المرجع، 40

[172] معاني الأبنية، ص.143